الأساليب الشرعية التقليدية في مناهضته.

وفي المقابل، لا يستدل من حياة القسام وحركته السرية أية مراهنة، مهما كانت متواضعة، على الأدوات النضالية التي اختبرتها القيادة التقليدية في تجربة الجمعيات الإسلامية ــ المسيحية، والمؤتمرات الفلسطينية وأخيراً الأحزاب، ولا على أساليبها الشرعية في اطار الانتداب. فطريق القسام، كان يختلف جذرياً، مع الحركة الوطنية الفلسطينية، بجناحيها الإصلاحي والرجعي.

مدرسة البرج الإسلامية ١٩٢٢ ــ ١٩٢٥

منذ وصوله في صيف ١٩٢١، وحتى افتتاح «مدرسة البرج الإسلامية»، عام ١٩٢٢، لم يمارس الشيخ عز الدين القسام عملاً في مدينة حيفا. وانما كان وأتباعه يعيشون، مثلهم مثل عشرات المناضلين، على دعم أهالي المدينة وضيافتهم. ولفترة من الوقت استضيف في منزل عبد الفتاح الخطيب[٣]. وكان يتردد عليه الشيخ محمد حنفي*. ثم سكن في بيت الحاج عبد الواحد الحسن الملقب بالمسمار، في حارة اليهود**، حين جاءت زوجته وأولاده.

دعته «الجمعية الإسلامية» في حيفا، المشرفة على اوقاف المدينة «بصورة مستقلة ومنفصلة عن الأوقاف في القدس»[٤]، الى التدريس في مدرستين للاناث والذكور، «فدرس أولاً في مدرسة الاناث الإسلامية، ودرّس ثانياً في مدرسة البرج الإسلامية»[٥]. وكان متوسط أجره الشهري «ما بين ٤ ــ ٥ جنيهات»[٦].

وحرص القسام، استناداً الى أقوال تلاميذه في مدرسة البرج، على أن يلفت نظر الطلاب، الى الدور المستقبلي الذي ينتظرهم. فكان يسأل الطلاب عما يريدون أن يكونوا في المستقبل. «وكان الطلاب يتيمنون بمهن آبائهم الا واحداً قال انه يريد أن يصبح قائداً مسلماً يعمل في سبيل الله والوطن. فشجعه الشيخ حتى لفت نظرنا، وبتنا نعتقد أنه من دعاة هذا الخط والسبيل»[٧].

كان قليل الكلام، هادئاً، لا يستخدم العنف في تدريسه «على خلاف طرائق المعلمين في زمنه. كان يحمل عصاً لكنه لا يضرب بها»[٨].

كما جرب القسام المسرح المدرسي لتقريب الطلاب من فكرته حول قادة الجهاد. ففي نهاية كل سنة، كما يذكر إبراهيم السهلي، «كنا نمثل رواية. ومثّلتُ في رواية صلاح الدين الأيوبي. وما زلت أذكر صرخة زوجة رئيس الحامية في حطين 'وإسلاماه،' وقول صلاح الدين عندما جاءه الخبر 'ايه حطين سترين العجب'!»[٩].

وفي عام ١٩٢٤، ضمنت «الجمعية الإسلامية» المدرسة الى الشيخ السوري كامل القصاب «فتصرف بمنطق تجاري؛ اذ اخرج الأيتام والفقراء، الذين كانوا يتعلمون مجاناً، تحت شعار من لا يدفع لا يتعلم»[١٠]. ورداً على ذلك، قامت مظاهرة في حيفا تستنكر طرد

---

* وصفه محمد نمر الخطيب قائلاً: كان قصيراً، نحيف الجسم، أسمر اللون، يلبس على رأسه عمة صفراء على طربوش.

** بيت في الطابق الثاني، يصعد اليه بسلم من حجر.